دلالة أفعال اليقين
في القرآن الكريم *

د. إبراهيم خليل أبو غالية **

* تاريخ التسليم: ٩/ ٦/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ٢٢/ ٧/ ٢٠١٢م.
** أستاذ مساعد/ دائرة اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة القدس/ أبو ديس/ فلسطين.

ملخص:

تتناول هذه الدراسة، جانباً مهماً من جوانب الدراسة النحوية، وهو الجانب المعنوي والدلالي للأداة النحوية، وهذا النوع من الدراسات النحوية لم يعط حظَّه من الدراسة والبسط كما الأقسام الأخرى من النحو. لذا تركزت هذه الدراسة على تناول أفعال اليقين وتحليل صيغها وأساليبها، وقد جعلت ميدان الدراسة، القرآن الكريم لغناء مادته، وللاطمئنان إلى صحة نصوصه، ودقتها، فضلاً عن الأساليب المختلفة التي تأتي عليها هذه الأفعال، ولبلاغة أسلوبه وتراكيبه التي نلحظ من خلالها أنّ القرآن الكريم يعمد إلى صيغ متنوعة ليحقق معاني وغايات يريدها.

ولقد تناول الباحث في هذه الدّراسة أفعال اليقين فعلاً فعلاً ورصد استعمالاتها، والسّياقات الّتي وردت فيها، والمعاني الأساسية والثّانوية الّتي تؤديها، وتبين من خلال الدّراسة أنّ كلّاً منها يحمل معاني ثانوية مختلفة على الرغم من اتفاقها في المعنى الأساسي وهو العلم.

وأتوقع أنّ هذا النوع من الدراسات يميط اللثام عن هذا الجانب المهم من علم النحو، وهو جانب المعنى في التراكيب النحوية، كما أنّه يثري العربية بأساليب فصيحة دقيقة معبرة يمكن أن تأخذ مكانها في أساليبنا وتعابيرنا.

Abstract:

This research considers an important section of the structural methodology, that is, the intellectual and metaphoric side of the structural method. This type of the structural research has not been studied enough nor has it been carefully analyzed as the other sections of structure. Therefore, this research focuses on the use of the verbs of certainty and analyses the forms of these verbs as well as their function. The best site for this study is the holy Quran, due to its richness in using these verbs, as well as its being a reliable, precise source of context, in addition to the various methodology concerning these verbs, its formal way of using these structures enables which us to notice that the holy Quran tends to use different forms and strategies in order to tell us about certain intended ideas and aims.

I expect that this type of research will uncover this essential section of grammatical constructions, that is, the implied intellectual one. Moreover it can enrich the Arabic Language with meaningful, precise, and formal techniques that can be used in our daily expressions and techniques.

أهميّة البحث:

١. في هذا البحث محاولة لدفع دعوى التّرادف عن القرآن الكريم.

٢. محاولة العمل على تلمّس الفروق الدّقيقة بين أفعال اليقين، وهي عند كثيرين لا تعدو معنى علم.

٣. إبراز دقّة العربية في استعمال هذه الأفعال، وأنّها تحمل معنىً ثانوياً، وملمحاً تمييزياً مضافا إلى المعنى الأصلي.

٤. إظهار جانب من جوانب الإعجاز القرآني، وتبيين دقّته في توظيف هذه الأفعال.

أسباب اختيار البحث:

١. عدم توفّر دراسة _في حدود علمي _ اضطلعت بتناول هذا الموضوع.

٢. لم أر من يتناولون هذه الأفعال من نحاة ولغويين ومفسرين يوضحون الفروق الدّقيقة بينها.

٣. إنّ القارئ للقرآن الكريم يرى أنّه يراوح بين هذه الأفعال، فتارة يستعمل هذا الفعل وتارةً ذاك الفعل. بل إنّه يراوح بين هذه الأفعال في السّياقات المتشابهة لفظاً ومعنىً.

الدّراسات السّابقة:

وردت هذه المادة على شكل شذرات في كتب النّحو واللغة والتّفسير وعلوم القرآن، وقد تناول كتاب معاني النّحو لفاضل السّامرائي هذا الموضوع بشيء من التّخصيص. وقد أفدت منه في هذه الدّراسة.

هدف الدّراسة:

١. ترمي هذه الدّراسة إلى إبراز الفروق بين أفعال القلوب.

٢. العمل على إبراز هذه الفروق في ضوء النّص القرآني لدّقته، وقدرته على توظيف المعاني الممكنة لكل لفظة.

٣. محاولة تطوير الدّراسة النّحوية التي غالباً ما كانت تقف عند تركيب الجملة، وملاحظة الموقع الإعرابي.

٤. العمل على تجلية جوانب فنيّة في الأساليب القرآنيّة بناءً على استعمال أفعال اليقين.

منهج الدّراسة:

لقد قمت في هذا البحث بتتبع معاني أفعال اليقين في كتب اللغة، ثمّ تبيين معانيها ودلالاتها عن طريق الموازنة بين السّياقات المختلفة، ثمّ تتبع آراء العلماء فيها من كتب النّحو واللغة والتّفسير والبلاغة وعلوم القرآن، ثم اختيار أرجح هذه الآراء، وإذا لم أجد للعلماء قولاً، أو كان قولهم غير سديد أجتهد في تبيين المعنى الذي أراه مناسباً وصحيحاً.

توطئة:

تعدّ « ظنّ» وأخواتها من الأفعال الناسخة للابتداء، **وهذه الأفعال قسمان**:

أحدهما: أفعال القلوب، والثاني: أفعال التحويل، فأمّا أفعال القلوب فهي كذلك قسمان: أحدهما ما يدل على اليقين، والثاني ما يدل على الرجحان (١) . والأشهر أنَّ أفعال اليقين سبعة، هي: علم، رأى، وجد، درى، ألفى، جعل، تَعَلَّمْ بمعنى اعْلَمْ (٢) . والفعل تَعَلَّمْ لم يرد ذكره في القرآن الكريم.

وهي عند النّحاة بمعنى العلم، قال ابن يعيش: «وهي رأيت وعلمت ووجدت لأنها بمعنى العلم والمعرفة» (٣) .

ويذهب الباحث إلى أنها ليست مرادفة لمعنى العلم، إذ إنّ فيها معنى العلم وزيادة.

والشواهد القرآنية هي خير دليل، وأصح شاهد على الفرق بين هذه الأفعال، فالقرآن لا يمكن أن يستعمل لفظين مختلفين لمعنى واحد. وكذلك فإنّ السياقات التي ترد فيها هذه الأفعال تشير إلى الفروق الدقيقة بينها. وهذا بدوره يفسر ما في هذه الأفعال من إيحاءات وإيماءات، وظلال يصل بها إلى قمة البلاغة والإعجاز.

والذي يراه الباحث أنه ينبغي أن تكون الاستعمالات الدقيقة للأفعال مرشداً للأديب والشاعر في اختيار ألفاظه وتراكيبه متوخياً فيها الدقة وإصابة المعنى.

وسيحاول الباحث تجلية ما في هذه الأفعال من معانٍ وفروق دقيقة معتمداً على المراجع الأصيلة، وعلى ملاحظاته، وموازنته بين التراكيب المختلفة، والأساليب المتباينة.

المطلب الأول ـ دلالة عَلِمَ:

تأتي «علم» بمعنى إدراك اليقين عند المتكلِّم، وإن لم يكن كذلك في الواقع، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (٤) . وهذا علمٌ اعتقاداً وواقعاً؛ لأنّ الإنسان في ذلك الوقت يعلم كلّ أعماله بعد أن تُعرض عليه ويأخذ بكتابه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (٥) . وهذا يقينُ لا شك فيه لأنّه من لدنْ رب العالمين.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ (٦) . أي: إن ثبت عندكم وفي اعتقادكم إيمانهنَّ، والدليل على ذلك أنّه طلب من المؤمنين امتحانهنّ واختبارهُنّ؛ فإن ثبت لديهم وفي علمهم إيمانُهنّ فلا يرجعوهن إلى الكفار، وإن كان الواقع غير ذلك.

الفرق بين عَلِمَ وعَرَفَ:

قد تأتي (علم) بمعنى عرف مكتفيةً بمفعولٍ واحد، قال سيبويه: «وقد يكون (علمتُ) بمنزلة (عرفتُ) لا تريد إلا علم الأول، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، فهي ها هنا بمنزلة عرفت» (٧) .

وهناك فارقُ بين (علم) المتعدية لمفعولٍ واحدٍ وبين (عرف) ؛ فالفعل (علم) يتعلَّق بالمعاني، بينما (عرف) يتعلَّق بالذوات. جاء في البرهان: «علم العرْفانية لا تتعلّق إلاَّ بالمعاني نحو: لا تعلمون شيئاً، فأمَّا نحو قوله تعالى: » لا تعلمهم نحن نعلمهم»، وقوله: «فليعلمّنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين»، فالتقدير: » لا يعلمُ خبرهم بحقٍّ نحن نعلمُ خبرهم» (٨) . ويفهم من كلام الزركشي أنّ (عرف) تتعلق بالذوات لا بالمعاني.

قال تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (٩) ، قد يكون المؤمنون يعرفون المنافقينَ بذواتهم وأشخاصهم، لأنهم لن يكونوا إلا من أعدائهم القريبين منهم، وهؤلاء لابد أن يكون المؤمنون يعرفون ذواتهم وأشخاصهم، لكن الذي يجهلونه هو ما هم عليه من صفة العداء والتآمر للنيل من المؤمنين.

جاء في إرشاد العقل السليم: «لا تعلمونهم أي: لا تعرفونهم بأعينهم، أو لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة، وهو الأنسب لقوله تعالى: ﴿اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (١٠) .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١١) أي: لقد علمتم أحوالهم و أوصافهم مما هو مكتوبٌ عندكم في كتبكم، وتروونه من قصصكم، وإلا فأنّى لهم أن يعرفوا ذواتهم وأشخاصهم وهم لم يلتقوا بهم؟

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (12) ، أي: لم تعلموا إيمانهم وتصديقهم بالإسلام لإخفائهم إيمانهم، ولربما كانوا يعرفون أعيانهم لأنّهم من أقاربهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (13) ، أي: لعرفت أشخاصهم وأعيانهم، والرسول قد عرف نفاقهم وحالهم من قبل، ولكن بعد الرؤية والنظر في سيماهم تُعرف أشخاصهم؛ لذا استعمل (عرف) .

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾ (14) ، أي: إنّ علمهم لا يقتصر على صفاته وأحواله فقط حتى يلتبس عليهم أمره، بل إنّهم لفرط علمهم بصفاته وأحواله قد عرفوا شخصه، وعرفوهُ بها عندما جاءَهم، وهم أعرف به من أبنائهم، والأب لا يشتبه عليه ابنه، قال الزمخشري: «يعرفون رسول الله معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المتشخّص» (15) .

وقال تعالى: ﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (16) ، أي: عرف أشخاصهم من ملامحهم وأشكالهم بأنهم إخوته، ولم يَقُل: فعلمهُم؛ لأنه ربما لم يكن يعلم عن أحوالهم شيئاً بعد هذه الغيبة الطويلة.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (17) ، أي: يعرفون أشخاصهم وهم كما هم عليه في الدنيا بعلامات تدلّ عليهم، ويستشف من هذه الآية أن ملامح الكفار في النار تبقى كما كانت عليه في الدنيا، والله أعلم.

ولم ترد (عرف) في القرآن إلا لهذا المعنى، وقد يُنزّل الأمر المعنوي منزلة المادّي المتشخص والمحسوس مُبالغةً في إظهاره لهدف معنوي وبياني رفيع.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ (18) . فالمنكر مشخَّص في وجوههم، فهم من شدّة كفرهم وعداوتهم للمؤمنين أصبح المنكر ملاحظاً ومرئياً وبارزاً للعيان في وجوهم ونظراتهم وكلماتهم وحركاتهم، وهو ممّا يشار إليه لشدة ظهوره.

جاء في إرشاد العقل السليم: « تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر: الفظيعُ من التجهم والبسور أو الشرّ الذي يقصدونه لظهور مخايله من الأوضاع والهيئات» (19) .

ومثله قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (20) ، جاء في الظلال: «تفيضُ النضرة على وجوههم وملامحهم حتى يراها كل راءٍ» (21) .

وقال تعالى: ﴿وَ إِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٢٢) . والمقصود بالحقّ في الآية هو الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهم قد رأوه بعينه وعلى أثر ذلك آمنوا.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (٢٣) ، أي يميزهنّ غيرهن بأشخاصهنّ وهنّ يلبسن المحتَشم.

المطلب الثّاني ـ دلالة دَرَى:

لم يفرّق أكثرُ العلماء بين الدراية والعلم، وجعلوهما معنى واحداً، جاء في اللّسان: «درى الشيء دَرْيَاً ودُرْيَةً ودرايةً: عَلم، ويقال أتى هذا الأمر من غير دُرْية، أي من غير علم» (٢٤) . وفي الحقيقة إنّ بين (درى) ، و (علم) فرقاً؛ لأنّه لا يمكن أن تُستعمل كلمتان من مادتين مختلفتين في معنىً واحد، وذلك يتنافى مع دقة اللغة العربية وبلاغتها، وكذلك فإن القرآن الكريم ـ كما هو معلوم ـ يختار كلماته اختياراً؛ لتكون مناسبةً تماماً للمعنى المراد من غير تقتير ولا تُخَمة.

ويرى الأستاذ فاضل السامرائي أنّ الدراية تكون بعد الجهل بالشيء، لذا لا تستعمل في حق الله تعالى (٢٥) ، وهذا الاستنتاج من الأستاذ الفاضل صحيح، وذلك لأنّ الدراية لم تُنسب إلى الله تعالى في القرآن بخلاف العلم. وقد أورد قريباً من هذا المعنى الراغب الأصفهاني في مفرداته فقال: « الدرايةُ المَعْرِفَة المدركة بضربٍ من الختل، يقال: دريته ودريت به درية نحو: فطنتُ وشعرتُ « (٢٦) ، وهذا لا يكون إلا بعد جهل، وقال أبو هلالٍ العسكري في فروقه: « الفرق بين العلم والدراية أنّ الدراية فيما قال أبو بكرٍ الزبيري بمعنى الفهم. فقال: هو. . . . . السهو عما يرد على الإنسان فيدريه أن يفهم، وحكى عن بعض أهل العربية أنها مأخوذة من دريت إذا ختلت، فإن كانت مأخوذة من ذلك، فهو يجري مجرى ما يُعطى الإنسان من المعرفة التي تنال غيره « (٢٧) .

وجاء في الكليات لأبي البقاء: »ثم الدراية وهي المعرفة الحاصلة بعد تردّد ومقدمات« (٢٨) .

إذن فالدراية تكون بعد جهل، وبضَرْبٍ من الحيلة والختل والتكلّف.

والناظر في الآيات التي ورد فيها الفعل (درى) يرى أنها واردة في أمورٍ غيبية يجهلها الإنسان، ولا يعلمها إلا بإعلام الله بها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (٢٩) . وقال تعالى: ﴿وما يدريك لعله

يزكى﴾ (٣٠) . وقال تعالى: ﴿**قُل لَّو شَاء اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾« (٣١) .

وقد استعملت هذه الأفعال في الآيات السالفة لجهل الإنسان المطلق بمفعولها إلا بخبر من الله سبحانه، ولو عمد الإنسانُ إلى كل وسيلة ممكنة، وكل حيلةٍ ملبسة لما استطاع أن يصل إلى العلم بها، وفي هذا حُكْم على الإنسان بالجهلً والضعف. ولمّا كانت هذه الأفعال دالة على صفة الإنسان لم تستعمل في حقِّه، سبحانه، كما استعملت (عَلِمَ) .

وقد جاء الفعل (درى) في جميع مواطنه في القرآن مقترناً بالنفي مبالغة فيه؛ لأنّ (درى) لا يكون إلا بعد الجهل، وإذا نفى العلم الكائن بعد الجهل فهذا أبلغ في إثبات صفة الجهل.

وكان هذا الأسلوب مناسباً في موطنه لكون معمول (درى) أموراً غيبية ليس للإنسان سبيل إلى إدراكها، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ**﴾ (٣٢) ، فهو علمٌ بعد جهل، وصدمةٌ بعد غفلة، وفي هذا مفاجأةٌ للكفار وعذابٌ نفسيٌّ قبل العذاب المادي.

وقال تعالى: ﴿**قُل لَّوْ شَاء اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ (٣٣) ، ففي ذلك إثبات لجهلهم وبعدهم عن الرسالات، وإثباتٌ لنبوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولولا إرسال الرسول لبقي جهلهم شاملاً وقائماً.

المطلب الثّالث ـ دلالة وَجَدَ:

ورد في معجم مقاييس اللغة: « وجد: الواو والجيم والدال يدل على أصلٍ واحد وهو الشيء تلفيه « (٣٤) . وجاء في المفردات في غريب القرآن: « الوجود أضرب، وجودٌ بإحدى الحواس الخمس نحو: وجدتُ زيداً، ووجدتُ طعمه، ووجدتُ صَوْتَه، ووجدتُ خشونته، ووجودٌ بقوة الشهوة نحو: وجدت الشِّبَع، ووجودٌ بقوة الغضب كوجود الحُزن والسّخَط، ووجودٌ بالعقل أو بوساطة العقل كمعرفة الله تعالى ومعرفة النبوة، وما ينسبُ إلى الله تعالى من الوجود فبمعنى العلم المجرد» (٣٥) .

يستنتج مما سبق أنّ الأصلَ في الوجود هو الوجود المادي، ثم يستعمل مجازاً في الوجود المعنوي، قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾(٣٦). وهذا وجودٌ مادي، وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾(٣٧)، وقال أيضا: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي**

أَنفُسهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (٣٨) ، وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ (٣٩) ، وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (٤٠) . وهذا كله من الوجود المعنوي المجازي.

أمّا إذا نصبت (وجد) مفعولين فتكون بمعنى (علم) . وهي ليست بمعنى (علم) تماماً بل إنّ فيها زيادةً على العلم، ومبالغة فيه بتصويره بصورة الشيء الذي وُجِدَ وأصبح في حدود الحواس المدركة التي توصلنا إلى العلم واليقين، فهناك فرقٌ بين قولنا: علمتُ محمداً قويّاً ووجدتُ محمداً قوياً. فمعنى الجملة الأولى: أنّه وصلت إلى علمي قوة محمد بأيّ طريقة موثوقة كانت، كأَنْ تكون على طريق إخبار ثقة، أو عن طريق إخباره عن نفسه، أو عن طريق قراءة ذلك، أما قولنا وجدتُ محمداً قوياً، فهو علمٌ متحصلٌ عن طريق الوُجدان الذي عرفناهُ، والذي لا يمازجه شك أبداً؛ كأَنْ أراه وهو يصرع خصومه، أو أصارعه فيصرعني.

وقد تكون الغاية من هذا التعبير مجازية؛ فتكونُ بتشبيه الأمر المعلوم بالأمر المُدْرَك بالحواس لشدّة تيقّنه وثبوته، جاء في شرح الرضي: «لأنّك إذا وجدتَ الشيء على صفة لزم أن تعلمه عليها بعد أنْ لم يكن معلوماً، وقوله تعالى: ﴿ووجدك عائلاً﴾، لا يخرج عن هذا؛ لأنه، تعالى، قد يستعمل من الأفعال ما يستحيل مضمونه، على سبيل التشبيه، كقوله: نبتليه، ويضل، ونحو ذلك، فكأنه، تعالى، قد صادفه عائلاً، وعلمه بعد أن لم يعلم فأصلح حاله» (٤١) ، وقد ورد الفعل وجد في القرآن في عشرة ومئة موضع.

لِنَنْظُرْ في آيات القرآن الكريم في ضوء هذا المعنى الذي قَرَّرْناه: قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٤٢) . فصبرُ أيوبَ ـ عليه السلام ـ كان مبصراً ومشاهداً وملموساً، ولم يكن صبراً سلبياً أو مدّعىً لا يمكن ملاحظته أو رؤيته، فقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (٤٣) . فكل من يرى أيوب ـ عليه السلام ـ أو يسمع به يدرك عظم ما وقع به من بلاء، فها هو الضرّ والمرض قد ألمَّ به، ثم أصيب بفقد أهله، وهو بلاء آخر، فلم يجزع ولم يفزع، ولم يتضجر، بل صبر، وفوّضَ أمره إلى ربِّه حتى أصبح صبره يضرب به المثل، فناسب أن يؤتى بالفعل (وجد) ليناسب المعنى الملاحظ والمشاهد والمعاش لكلِّ ذي عين و إدراك.

وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٤٤) ، وهذه أصوب من قولنا: علمك ضالا؛ لأنّ المقصود من الآية هو إبراز العناية وإظهار الحفاوة بالرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه

عليه _ والآية بهذا الفعل تصور يد الرحمة الإلهية وهي تلتقط هذا الإنسان التائه في بيداء الجاهلية لا يهتدي إلى شيء، كما تصور القرب بين الحبيب وحبيبه، كمثل الوالد الذي فقد ابنه العزين، ثم وجده بعد زمن من الضياع والتيه، والفعل «علم» لا يحقق هذا المعنى، بل إنه يباعد بين الرسول ومولاه؛ لأنّ العلم لا يقتضي القرب، بل غالباً ما يقتضي البعد بين العالم والمعلوم.

وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ (٤٥) . ولم يقل: لعلموا الله تواباً رحيماً، لعدم مناسبتها للمقام **وذلك للأسباب الآتية**:

١. إنّ الفعل (وجدَ) مناسب للفعل (جاؤوك) ، والمجيء يقتضي الوجدان؛ لأنّه مسبّب عن المجيء.

٢. والفعل وجد هو المناسب لصفة الرحمة التي تتطلّب القرب بين الخالق وعباده، والفعل (وجد) أدلّ دلالة على هذا المعنى، وأقرب رحماً من الفعل (علم) .

٣. والفعل (وجد) فيه دلالة على السرعة في تحقيق الأمر، فهناك فرق بين قولنا: علمتُ الرحمة ووجدتها، فوجدان الرحمة يعني التلبُّس بها والاشتمال بها، بخلاف العلم الذي قد يعني هذا المقصود وقد لا يعنيه.

وقال تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾ (٤٦) . عبر بالفعل (تجدنّ) دلالةً على أنّ هذه العداوة مما سيلقاه الرسول والمؤمنون، وسيجدونه بأعينهم، ويلمسونه بحواسهم، ولم تكن هذه العداوة مجرد علم يخبر به المؤمنون وذلك لفرط عداوة اليهود للمؤمنين، وأن هذه العداوة سيجدها بل سيلمسها كل مؤمن، وسيكتوي بنارها وأذاها، وإنَّ هذا العصر يصدّق هذا التعبير تمام الصدق، فكل مسلم في أنحاء المعمورة يعاني كيد اليهود وظلمهم ومكرهم.

قال تعالى: ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ (٤٧) . هذه الآية وردت بعد الحديث عن عصيان الأمم السابقه لرسلها وكفرهم بها وجحودهم نعمة الخالق عليهم، ثم تناولت الآيات ما حل بهذه الأقوام من عذاب، وكان هذا الأمر ملاحظاً ومرئياً من جدالهم مع رسلهم وعتوّهم عن أمر ربهم.

وقال تعالى: ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ (٤٨) ، ولم يقل: ستعلمني صابراً، وذلك لأنّ: صبر موسى _عليه السلام_ على طلب العلم سيكون ملاحظاً وواقعاً من رحلته ومصاحبته الخضر _عليه السلام_، لأنَّ طالب العلم بحاجة إلى صبر

وثبات طويلين، وكأنّ موسى يريد أن يطمئن الخضر أنّ كلامه ليس مجرد دعوى خالية من التطبيق والتنفيذ.

وفي كثير من التعبيرات لا نستطيع أن نستبدل (عَلِمَ) بالفعل (وجد) ، قال تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ (٤٩) .

ولو قال: تعلموه عند **الله** هو خيراً وأعظم أجراً، لكان مقتضى هذا الكلام أنّهم لا يعلمون ذلك وسيعلمون يوم القيامه، وهذا منافٍ لإيمانهم وإقبالهم على **الله**.

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾ (٥٠) . ولم يقل يعلمونه؛ لأنّهم يقرؤونه ويدرسونه ويتدارسونه، فهو بمثابة الوجدان لأَنَّهُ بين أيديهم، ولو قال: يعلمونه، لاحتمل أنّه كان مكتوباً عندهم ثم حرِّف وهم يسمعون عن هذا التحريف الذي حصل، ولكنَّهم لا يقرؤونه في كتابهم، وهذا خلاف الحقيقة.

المطلب الرّابع ـ دلالة رَأى:

جاء في اللسان «وقال ابن سيده: الرؤية النظر بالعين والقلب» (٥١) ، فأصل رأى هو الرؤية البصرية، ثم تعدَّت إلى الرؤية القلبية والعلمية، والرؤية العلمية تتعدّى إلى مفعولين، فمعنى قولنا: رأيتُ محمداً مجتهداً؛ أنك تعلم اجتهاد محمد، وعلمك هذا آتٍ من رؤيتك البصرية كأن تراه وهو يدرس ويطالعُ ويبحث فتقول هذه العبارة.

قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا**﴾(٥٢)، فعلمهم مبني على الرؤية؛ لأنّ الرؤية توجدُ العلمَ اليقيني الذي لا مِرْيَةَ فيه، وبهذا تكون آكد من الفعل (عَلِمَ) .

قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا**﴾ (٥٣) ، أي: إنّهم لفرط اعتقادهم ببعده نزّل هذا الاعتقاد منزلة الرؤية البصرية، وذلك لأنَّ ضلالهم وتباعدهم عن الحق واستبعادهم إعادة الحق؛ نزّلهم منزلة منْ علموا علم اليقين بالرؤية التي لا شك فيها أنّ ذلك اليوم بعيد، وهو عنده، سبحانه، معلومٌ ثابتٌ كالمرئي بالنسبة لنا.

قال تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾ (٥٤) ، إنَّ تزيين عملهم السيّء قد صوّر أعمالهم بالمنظر الحسن كأنَّهم يرون هذا الحسن ماثلاً في أعينهم.

وأرى أن كثيراً مما يعدُّ من (رأى) القلبية في القرآن ينبغي أن يحمل على هذا الأصل، فـ (رأى) لا تُحْمَل على العلميّة إلا إذا تعذر الحمل على الرؤية البصرية، وقد تكون من باب المجاز، و**الله** أعلم.

المطلب الخامس ـ دلالة أَلَمْ تَرَ:

وردت هذه الصيغة معدّاةً بالحرف (إلى) وغير مُعَدّاة به، وهذه الرؤية قد تكون علميّة أو بصرية حسب ما يدل عليه السياق، والأغلب أن تكون علميّة، ولكنّ هذه الحقيقة العلميّة لشهرتها وتحققها وثبوتها أصبحت كالأمر المرئي المُشاهَد. وورود الفعل (ترى) بصيغة الحاضر يقصد منه استحضار صورة ذلك الحدث العجيب والأمر العظيم حتى تستحضره النفس؛ كأنّهُ في مواجهتها حتى تكون على بيِّنةٍ منه.

ويلاحظ على الآيات القرآنية أنّ الصيغة المعدّاة بـ (إلى) تدلُّ على بُعْدٍ في الزمن أو المنزلة. وهذه الصيغة في كل الآيات القرآنية تفيد التعجب، وإذا ورد التعجب بصيغة (ألم ترَ) ، ففيها تنبيه ولفت نظر. وهذه الصيغة الاستفهامية التقريرية أَشَدُّ وخزاً للذهن وشحناً للشعور من الصيغة المقتصرة على التقرير (قد رأيت) . ثم حرف الجر (إلى) الذي يمدّ النظر إلى بعيد، وذلك لا يكون إلاّ لأمرٍ مستغرب عجيب. وقد وردت هذه الصيغة في القرآن في خمسين موضعاً.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ من دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾(٥٥)، فهذه قصّة غائرة في مجاهيل الزمان عجيبةٌ، لم تعهدها العقول من قبل، ولم تشهدها الأعين والأبصار، وهي قصّة فرار قوم من قدر **الله**، ثمّ نفاذ حكم **الله** فيهم بموتهم، ثم إحياؤهم مرة أخرى، وهي قصة عجيبة غريبة حقاً، تستدعي النظر والتأمل في قدرة **الله** تعالى المحيطة بقدرة الإنسان المحدودة، فكانت هذه الصيغة بما تحمله من معاني التعجّب، وإيحاء البعد مناسبة لتقرير هذا المعنى. ورد في الكشاف: «ألم تر، تقريرٌ لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيبٌ من شأنهم» (٥٦) .

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (٥٧) . وهذه القصه يمتد زمانها إلى عهد إبراهيم ـعليه السلام ـ، ولكنّها حقيقة واقعة وحدث ثابت يتلقاه المؤمن تلقي الأمر المشاهد، وهي قصة عجيبة تستدعي هذا الاستفهام التعجبي التنبيهي، وهو محاجّة هذا الكافر لإبراهيم في ربّه مع أنّه يعيش في كنف مُلك **الله**، سبحانه، ولعلّ هذا المثال يقاس على كثيرٍ ممن أعطاهم **الله** المُلك، فلم يشكروه، سبحانه، وأعرضوا عن آياته.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (٥٨) .

الاستفهام في هذه الآية ينبه إلى حالة عجيبة متناقضة، وهي إعراض أهل الكتاب الذين أوتوا نصيباً من الكتاب عن التحاكم إلى كتاب الله، وهذا التناقض عجيب عند النفس الإنسانية تنزل بها إلى أحط الدركات وأدنى المستويات، فكانت الرؤية معدّاةً بـ (إلى) لإبراز هذا الانحطاط القيمي والإنساني والإيماني، ثم الفعل المضارع (ترى) يصور هذه الحاله ويُشَخّصها أمام أنظار قلوبنا، فكأنّنا نرى حالتي الدّعوة والإعراض بارزتين أمام أبصارنا مما يزيدنا اشمئزازاً ونفوراً من هذا النوع من البشر. وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا**﴾ (٥٩).

ورد في إرشاد العقل السليم: « كلام مستأنفٌ مسوق لتعجب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم، والخطاب لكلٍّ من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين، وتوجيهه في ما بعد إلى الكلّ معاً للإيذان بكمال شهرة شناعة حالهم وأنّها بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها، والرؤية بصريّةٌ، أي: ألم ينظر إليهم فإنّهم أحقّاء أن نشاهدهم، ونتعجب من أحوالهم وتجويز كونها قلبية على أنّ (إلى) تتضمن معنى الانتهاء لما فعلوه يأباه مقام تشهير شنعائهم ونظمها في سلك الأمور المشاهدة والمراد بها أحبار اليهود»(٦٠).

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا**﴾ (٦١) . الملاحظ أنّ صيغة (ألم تر إلى) تنتهي بالرؤية إلى الذات أو إلى الشيء الذي تعلق به الفعل لا إلى الفعل نفسه، لأنّ المقصود هو مدح تلك الذات أو الثّناء عليها، وقد نبهت هذه الآية المصدّرة بهذا النوع من الاستفهام إلى أمرٍ عجيبٍ دالٍّ على قدرة الله، وطلبت منّا النّظر والتأمّل فيه، ولكنْ بصيغة النظر إليه، سبحانه، ولعل ذلك حتى يتنبه السامع إلى الفاعل الحقيقي، والخالق الموجه لذلك الحدث العجيب، ولا يقف الناس عند ظاهر الآية المنظورة، قال أبو السعود في تفسيره: «ولعلّ توجِّه الرؤية إليه، سبحانه وتعالى، مع أنّ المراد تقرير رؤيته _عليه السلام _ لكيفية مدّ الظّلّ للتنبيه على أنّ نظره _عليه السلام _ غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمحُ أنظاره موجّه شؤون الصنائع المجيد» (٦٢) .

وأيضاً فإنّ في إيراد « إلى» في هذا السياق إشارةً إلى امتداد الظل، وإشارة إلى علاقته المستمدة من الشمس البعيدة، وفي ذلك طلبٌ للتأمّل في هذا الإبداع الدال على قدرة الله، عز وجل.

وقد جاء عكس هذا التعبير في آيةٍ أخرى: قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ (٦٣) ، ولم يقل: ألم تر إلى ربك كيف فعل بأصحاب الفيل؛ وذلك لاختلاف

المعنى المترتب على نظم الآيتين، ففي الآية الأولى كان المطلوب هو توجيه النظر والعقل إلى الذات وعدم الاستغراق في الآثار والوقوف عندها. أمّا في الآية الثانية فإنّ الحديث عن أمرٍ غير عادي، وهو معجزةٌ صارخةٌ ناطقة لم يعرفها الإنسان، ولم يعهدها من قبل، ولن تتكرر، فهي دالّةٌ بطبيعتها على الخالق، وكلّ من يراها يسلّم بقدرة صانعها وعظمته، فهي توصل تلقائياً إلى الخالق العظيم؛ لذا كان النظم يقتضي تأخير (ربك) ، أما الآية الأولى فهي تتحدث على أمر طبعي مألوف اعتادته النفوس والعقول والحواس، ولا تلتفت إليه عامة العقول إلا بعد تدبُّر ونظر، فكان الأوْلى توجيه النظر والعقل إلى الفاعل الحقيقي، المؤثر الفاعل لأنّ الأنظار أغفلته في غمرة ما اعتادت طبائعها وفطرتها.

وقد تأتي (ألم تر) غير المعدّاة بـ (إلى) لتتحدث على أمور قريبةٍ بين أيدينا تدركها أبصارنا وبصائرنا، وهي من شدّة قربها منّا وتلبسها بنا لم تستعمل معها (إلى) ، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ**﴾ (٦٤) ، وفي ذلك لفت لأنظارنا إلى أمرٍ قريبٍ ومشاهد، بل إنّه مما نلامسه ونعايشه، وهو تكوين السحاب والتأليف بينه، ثم إنزاله على صورة المطر، فلقرب هذا الأمر منّا وشموله لنا لم يستعمل (إلى) الدالة على البعد.

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ (٦٥) ، إنّ الذي يرى اندفاع الكافرين إلى الكفر وتماديهم في الغيّ وانغماسهم في الضلال يدهشه ذلك؛ فجاءت هذه الآيات لتذكرنا بأمر أغفلناه مع أنّه قريب منّا، وهو أنّ هناك شياطين يغرونهم بالشرّ إغراءً ويحثّونهم عليه حثاً، ولمّا كان هؤلاء الشياطين قريبين منّا ويأتوننا من بين أيدينا ومن خلفنا لم يستعمل (إلى) ، بسبب قربهم منّا.

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ (٦٦) . هذه الآية تلفت النظر إلى مثلٍ تشبيهي يضرب لكلمة التوحيد الطيّبة، والتمثيل والتشبيه بحاجةٍ إلى تأمّل وتدبر؛ لملاحظة وجه الشبه بين المشبّه والمشبّه به ليحصل الاتعاظ والادّكار، لذا جاءت (ألم تر) لتنبه على ذلك، ولم تستعمل (إلى) في هذا المقام لقرب كلمة التوحيد وكونها في قلب كل مسلمٍ وعلى لسانه.

المطلب السّادس ـ دلالة أرأيْتَ:

ورد في لسان العرب: «في أرأيت لغتان ومعنيان أحدهما: أن يسأل الرجل الرجل: أرأيت زيداً بعينيك، فهذه مهموزة، فإذا أوقعتها على الرجل منه قلت: أرأيتك على غير هذه الحال؟ يريد: هل رأيت نفسك على غير هذه الحال؟ ، ثم تثنى وتُجمع فتقول للرجلين: أرأيتماكما،

وللقوم: أرأيتموكم، وللنِّسوة أرأيتنَّ كنَّ، وللمرأة: أرأيتكِ، والمعنى على الآخر أن تقول: أخبرني فتهمزها، وتنصب التاء منها وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب، وتترك التاء مفتوحة للواحد والواحدة والجمع في مؤنثه ومذكره» (٦٧) .

وجاء في شرح الرضي: « ومعنى (أرأيت) أخبر، وهو منقولٌ من رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت، كأنّه قيل أأبصرته وشاهدت الحالة العجيبة، أو أعرفتها أخبرني عنها، فلا يستعمل إلا في الاستخبار عن حالة عجيبة « (٦٨) ، والذي يهمنا في بحثنا هذا هو (أرأيت) بمعنى: أخبر، أو أخبرني بحسب ما تضاف إليه من ضمائر الخطاب، فهذه الصيغة ـ كما قال الرضي ـ منقولة عن معنى الرؤية البصرية، فإذا قلنا: أرأيت إن نجحت ماذا أنت فاعل؟ فهذه العبارة على معنى: أخبرني، إن نجحت، ماذا أنت فاعل، وأصل معناها: أرأيت هذا الأمر رأي العين أو أرأيته في مخيلتك أو تصورته في ذهنك، إن كان الأمر كذلك فأخبرني: ماذا أنت فاعل؟ ثم أهمل المعنى الأصلي وصارت بمعنى (أخبر) ، والأغلب أن تتبع باستفهام، ولكن هذا ليس ضرورة، كما قال الرضي (٦٩) ؛ لوجود نصوص من القرآن غير مشتملة على الاستفهام.

والذي أراه أن هناك فرقاً بين الفعل (أرأيت) و (أخبر) ، فإنّ في الفعل (أرأيت) فنّاً في البلاغة والتصوير والتخييل ما ليس في (أخبر) ، فـ (أرأيت) صورة وخيال، و (أخبر) خبرٌ وعلم. والفرق بينهما كبير، لذا يلاحظ أنّ القرآن دأب على هذا المعنى، وفجّر تلك الإيحاءات التي يحملها الفعل (أرأيت) ، فكان فيه من المعاني ما ليس في (أخبر) ، ولندع النصوص القرآنية تنطق بنفسها عن هذه المعاني الجليلة والتصاوير البديعة.

قال تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ (٧٠) .

إذا أخذنا برأي القائلين إنّ (أرأيت) بمعنى أخبرني، فلن يكون هناك استفهام عن هذا الإخبار. ولذا فإنّ (أرأيت) على معناها فهي تطلب من المخاطب أن يتصوّر في ذهنه، وفي مخيّلته ذلك الشخص المكذب بالدين، وفي ذلك استثارة للذهن وتحفيزٌ للخيال حتى يحاول أن يتصوّر ذلك المجرم، ويحاول أن يعدد أفعاله وقبائحه وخطاياه، ويحاول أن يذهب كل مذهب في إحصائها وحصرها لتكون ماثلة أمام عيني قلبه، وبعد أن يتهيّأ الذهن في تصوّر ذلك المشهد الرهيب تبدأ الآية في تبيين تلك الحالة، وهي حقاً صورةٌ منفّرة لذلك المكذّب بالدّين وهو يقوم بدعّ ذلك اليتيم ودفعه دون رحمة أو شفقة.

وقال تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**﴾ (٧١) ، فالنصُّ، كما يلاحظ، يعرض على مرآنا صورةً مشينة لذلك الذي يزجر عبداً من عباده يقوم إلى صلاته، والفعل

المضارع (ينهى) يعين في تصوير هذه الحالة، فإذا امتلأت النفس غيظاً وحنقاً وكرهاً لذاك الإنسان الطاغي قال: ألم يعلم بأنّ الله يرى، فكما أنَّنا نبصر ذاك الناهي والطاغي فإن الله يبصره ويراه، وفي ذلك تهويلٌ لمشهد الرؤية الربانية التي تتربّص بذلك العبد الحقير لتأخذه ثم تقصمه، ثم قال: أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى، وفي هذه الآية ذكر الاستفهام مع الفعل (أرأيت) ، وهو عند كثيرين بمعنى: (أخبرني) ، وفي الحقيقة إنه على معناه من الرؤية البصرية أو التخيُّلية، ولو كان بمعنى أخبرني لتوارت الصورة الجميلة، فالمعنى على ذلك يكون: أرأيت هذا الإنسان في يوم ما على هدى؟ أنظرت في أمره؟ أتدبّرت حاله؟ وبعد نظرك وتدبرك وتفكيرك وتذكرك وتخيّلك هل وجدت، ولو مرةً واحدة، إنْ كان فيه شيء من الهدى أو التقوى؟ ولذا استعمل (إنْ) الدالة في هذا الموطن على النُّدرة والقلّة؛ لأنَّ هذه الأفعال بعد بحثٍ ونظر لم تثبت في حقّه ولو على ندرةٍ وقلّة.

وقال تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾ (٧٢) . ففي هذه الآية يريد الفتى من موسى أنْ يتصور بعض الأحداث الماضية بمواطنها ليتذكر المكان الذي ضاع فيه الحوت. ودعوةُ الفتى لموسى تَصَوُّرَ ذلك المكان مقصودةٌ لما وقع فيه من معجزةٍ باهرة، وهي انبعاث الحياة في الحوت الميت ثم خروجه إلى البحر، وفي هذا المكان، كذلك، سيكون اللقاء بين الخضر وموسى ـ عليه السلام ـ فلعلَّ طلب تَصَوُّرِ هذا المكان لما له من أهمية لموسى والفتى، وسيكون هو محور الأحداث في المستقبل.

المطلب السّابع ـ دلالة أرَأيْتَكَ:

يرى جمهور النُّحاة أنّ الكاف في (أرأيتك) تفيد التوكيد، جاء في الكتاب « قول العرب: أرأيتك فلاناً ما حالُه! فالتاء علامة المضمر المخاطب المرفوع، وإنْ لم تُلحق الكاف كنت مستغنياً كاستغنائك حين كان المخاطب مقبلاً عليك عن قولك: يا زيدُ، ولحاقُ الكاف كقولك يا زيد، لمن لو لم نقل: يا زيد، استغنيت، فإنما جاءت الكاف في (أرأيت) والنداء في هذا الموضع توكيداً، وما يجيء في الكلام توكيداً، لو طرح كان مستغنىً عنه، كثير» (٧٣) .

وجاء في المقتضب: "اعلم أنّ هذه الكاف زائدة زيدت لمعنى المخاطبة، والدليل على ذلك أنك إذا قلت: أرأيتك زيداً، فإنّما هي أرأيت زيداً؛ لأنَّ الكاف لو كانت اسماً استحال أن تعدّى أرأيت إلى مفعولين الأول والثاني هو الأول" (٧٤) .

وهذا التوكيد يأتي في القرآن الكريم إنْ كان السياق يستدعي التوكيد والتنبيه، أو إنْ كانت هناك غفلةٌ تستدعي ذاك التوكيد.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (٧٥) ، إنَّ المقصود من هذه الصيغة هو استحضار الصورة المرادة وإحضارها أمام المشاهد، وقصد إبليس، من هذا التعبير، هو استحضار صورة آدم التي لا يرى فيها إلا الحقارة والوضاعة إذا ما قيست بصورته، ويساعد في إبراز هذا التصوير اسم الإشارة (هذا) في قوله: أرأيتك هذا، قال أبو السعود: » أتأمّلت كأنَّ المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه» (٧٦) ، وهذا الذي قاله أبو السعود هو الصحيح، وقد جيء بالكاف للتأكيد على إبراز هذه الصورة المرادة، لأنَّ العداوة قد استحكمت بينه وبين آدم بعد الأمر بالسجود لآدم، وقد أخذ الكبر منه مأخذه، لذا كان مستعداً لأن يخلد في النار على أن يتنازل عن كبره ويعترف بفضل آدم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧٧) .

وقال في السورة نفسها بعد بضع آيات: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ (٧٨) ، وقال أيضاً ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٧٩) ، نلاحظ أنّه أكّد الفعل في الآيتين: الأولى والثالثة، بينما لم يؤكد في الآية الثانية، وذلك لشدّة عذابه، سبحانه، وشدّة هَوْل الساعة إذا ما قيس بأخذ الأسماع والأبصار، فكانت زيادة الكاف في موطنها حسب حاجة المخاطب للتوكيد المتناسب مع قوة المعنى المراد، أما التصوير واستحضار الصورة في هذه الآيات فهي شديدة الظهور، فهو يطلب منهم أن يتصوروا هذا العذاب الشديد في الدنيا، وعذابه يوم القيامة حين يحلُّ بهم، وعند ذلك ستهتز أفئدتهم رعباً لهول هذا الحدث المخيف، وكذلك انظر إلى هذه الصورة، وهي أخذ الأسماع والأبصار ثم الختم عليها، وانظر كذلك إلى الفعل «أخذ» الذي يلقي ظلال السرعة والرهبة عند الإذهاب.

المطلب الثّامن ـ دلالة ألْفَى:

ورد الفعل (ألفى) في القرآن الكريم في ثلاثة مواطن، وقد تعدى إلى مفعوليه، وهو عند النحاة بمعنى وجد، قال ابن مالك في التسهيل: «ومثل (وجد) ذات المفعولين ألفى مرادفتها»(٨٠) ، ويظهر أنّ هناك فرقاً بين الفعلين؛ فالفعل وجد أقرب إلى العلم من الفعل ألفى:

١. الفعل ألفى استعمل في الأشياء المحسوسة فقط: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾(٨١)، ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ (٨٢) ، ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (٨٣)،

بينما استعمل الفعل (وجد) في الأشياء المحسوسة والمعنوية؛ فمن الأشياء المحسوسة قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى**﴾ (٨٤) ، ﴿**وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾ (٨٥) ، ﴿**أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا**﴾ (٨٦) ، (قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ) (٨٧) .

ومن استعمالاتها في الأشياء المعنوية التي تدرك بالذهن والعقل: ﴿**ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ**﴾ (٨٨) ، ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا**﴾ (٨٩) ، ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ (٩٠) ، ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (٩١) .

٢. الفعل «ألفى» لا يسبقه بحث ونظر، بعكس الفعل وجد الذي يسبق غالباً ببحث وتقصٍّ وانتظار، قال تعالى: ﴿**وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ**﴾ (٩٢) ، فهذا الفعل وقع فجأة دون مقدمات أو بحث أو توقع. وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ**﴾ (٩٣) ، وهذا شأن التقليد الأعمى فهو لا يبنى على بحث ولا نظر.

أما الفعل وجد فقد ورد في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا**﴾ (٩٤) ، ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا**﴾ (٩٥) ، ﴿**وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ**﴾ (٩٦) ، ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (٩٧) ، فكونه صابراً هذا كان بعد الامتحان، ووجدان الجنّ السماء مملوءة حرساً هذا كان بعد البحث في سبب عدم تمكن الكهان من الإتيان بالأخبار، ووجدان الشمس على هذه الهيئة كان بعد الضرب في أرجاء الأرض، ووجدان **الله** غفوراً رحيماً كان بعد التوبة والاستغفار.

٣. الفعل «وجد» ينسب إليه، سبحانه، لأنه أقرب إلى حقيقة العلم بخلاف الفعل ألفى؛ قال تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى**﴾ (٩٨) ، ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ**﴾(٩٩)، ﴿**وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ (١٠٠) ، ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا**﴾ (١٠١) .

٤. حروف الفعل «ألفى» فيها لين ورخاوة وهذا مناسب لما هم عليه من جهل وعمى تناسب حالة الدعة واللين التي يحاولون أن يظلوا فيها يعمهون. أما الفعل وجد ففي حروفه شدة وقوة تناسب معنى البحث والنظر الذي قد يوصل إلى العلم.

ومما يوضح الفرق بين هذين الفعلين استعمالهما في هذين السياقين المتشابهين:

﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ (١٠٢) .

وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ (١٠٣) . ناسب أن يؤتى بـ (ألفى) في الآية الأولى للأسباب الآتية:

١. قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (١٠٤) ، والذي يتبع خطوات الشيطان لا يكون اتباعه مبنياً على علم.

٢. قوله: ﴿**وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (١٠٥) ، وفي هذا نفي للعلم.

٣. قوله: ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (١٠٦) ، فقد نسبهم إلى عدم العقل، وهذا أنسب لنفي العلم.

٤. ثم وصفهم بقوله: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء**﴾ (١٠٧) ، وفي هذا منتهى الجهل عندما شبههم بالقطيع الذي لا يفقه من صاحبه غير الصراخ والنعيق.

ناسب في الآية الثانية أن يؤتى بـ «وجد»؛ لأن عندهم بعض علم لأنّ جدالهم ينبئ عن ذلك، جاء في ملاك التأويل: « فحصل ذكر علم وإن كان منفياً، ولأن جدالهم ينبئ أنهم توهموا أنّ ذلك علم وأنهم على شيء، فقد حصل من مجادلتهم أنهم يظنون أنهم على علم» (١٠٨) .

وهناك قضية أخرى وهو أنه قال في الآية الأولى: ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ (١٠٩) ، وفي الثانية ﴿**أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ (١١٠) ، فالجملة الأولى تقدم صورة أوغل في الاتباع والتقليد وقلة العلم؛ أما الثانية فلا تدل على هذا المعنى؛ فدعوة الشيطان إلى إضلال الإنسان تكون بصور مختلفة، وقد تكون بصورة العلم وادعاء الاتصاف به.

المطلب التّاسع ـ دلالة جَعَلَ:

جاء في لسان العرب: «وجعله يجعله جعلاً: صنعه، وجعله: صيّره» (١١١) .

أمّا الرّاغب الأصفهاني (١١٢). فقد قسّم الجعل على خمسة أنواع: جعل بمعنى طفق فلا يتعدى، وجعل بمعنى أوجد كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ (١١٣) .

وجعل: بمعنى إيجاد شيءٍ من شيءٍ وتكوينه منه؛ كقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ (١١٤) . وجعل: بمعنى تصيير الشيء على حالة دون حالة، كقوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا**﴾ (١١٥) . وجعل: بمعنى الحكم بالشّيء على الشّيء حقاً أو

باطلاً، فأمّا الحق فنحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (١١٦) . وأمّا الباطل فنحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا**﴾ (١١٧) .

ويمكن إعادة هذه المعاني إلى معانٍ رئيسة ثلاثة: وهي: الشّروع، والإيجاد، والتّحويل، وهذه المعاني الثّلاثة يمكن ردّها إلى معنى واحد؛ وهو التّحويل والتّصيير، فعندما نقول: جعل الطّفل يبكي، أي تحوّل إلى حالة البكاء بعد أن لم يكن يبكي.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾؛ فيمكن أن تُؤول بتصيير الظّلمات والنّور من حالة العدم إلى حالة الوجود، جاء في الكشّاف: «جعل: يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ، كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صيّر كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**﴾ (١١٨) . والفرق بين الخلق والجعل أنّ الخلق فيه معنى التّقدير، وفي الجعل معنى التّضمين؛ كإنشاء شيءٍ من شيءٍ، أو تصيير شيءٍ من شيءٍ، أو نقله من مكانٍ إلى مكانٍ» (١١٩) .

وهذا يؤيد ما يراه الباحث أنّ الأصل في معنى الجعل هو التّحويل والتّصيير.

وقد جعل سيبويه في قوله: جعلت متاعَك بعضَه فوقَ بعض ثلاثة أوجه في النّصب:

- الأول: أن تجعل (فوق) في موضع الحال؛ كأنّه قال: علمت متاعك وهو بعضه على بعض؛ أي: في هذه الحال، كما في (رأيت) في رؤية العين، وإن شئت نصبته على ما نصبت عليه رأيته زيداً وجهَه أحسنَ من وجه فلان، تريد رؤية القلب.
- الثّاني: أن يكون بمعنى ألقيت، أي: ألقيت متاعك بعضَه فوقَ بعض.
- الثّالث: أن يكون بمعنى: ظننت متاعك بعضه أحسن من بعض (١٢٠) .

والذي يراه الباحث أنّ (جعل) ليست مرادفة لِعَلِمَ أو ظنّ، والأوْلى إبقاؤها على معناها الأصلي؛ وهو التّحويل والتّصيير، وذلك أنّ (جعل) قد تكون بمعنى الجعل الحسّي أو الجعل المعنوي والعقلي والشّعوري، والجعل العقلي يكون نابعاً عن اعتقاد الجاعل، وهذا الاعتقاد قد يكون مجرد ظنون وتخرصات، ومن هنا دخلها معنى العلم والظّن؛ وجعلها علماء النّحو في باب أفعال اليقين والظّن، **وبهذا نستطيع فهم معنى الجعل في الآيات التّالية:**

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**﴾ (١٢١) .

وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ**﴾ (١٢٢) ، وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾ (٢٢٣) .

وهذا كلّه من الجعل الاعتقادي، وهنا لو جعلنا (جعل) بمعنى عَلِمَ، لكان المعنى: وعلموا الملائكة الذين هم عباد الرّحمن إناثاً، والعلم لا يكون إلا مطابقا للواقع، وهذا المعنى فاسد.

وكذلك بقية الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١٢٤)، وهذا من الجعل العقلي والمعنوي لأنّهم جعلوا هذه المساواة في عقولهم وأفكارهم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾(١٢٥).

وهذا يكون من خلال عقولهم وأهوائهم التذي تجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً.

الخاتمة:

نخلص مما سبق إلى النتائج الآتية:

١. وردت أفعال اليقين في معنى عام وهو معنى العلم، لكن كل فعل كان له استعماله الخاص، وقد يستحيل أحياناً أن يسد غيره من أفعال اليقين مكانه، ويلحظ على أفعال اليقين حفاظها على معناها اللغوي الأصلي الذي يبقى ملازماً لها على الرغم من تطور دلالتها.

٢. تتعلق «عَلِمَ» المتعدية لمفعول واحد بالمعاني، بينما تتعلق عرف بالذوات.

٣. يأتي الفعل «دَرَى» مترتبا على حالة من الجهل وفقدان العلم.

٤. إنّ «وَجَدَ» المتعدية لمفعولين فيها زيادة على معنى العلم، وهو المبالغة في تصويره بصورة الشيء الذي وجد وأصبح في حدود الحواس المدركة التي توصل إلى العلم.

٥. إنّ «رَأَى» لا تحمل على معنى العلم إلا إذا تعذّر الحمل على الرؤية البصرية، وفيها مبالغة في معنى العلم؛ لأنّ علمهم آت من الرؤية البصرية المشاهدة.

٦. الفعل «وَجَدَ» أقرب إلى معنى العلم من الفعل «أَلْفَى».

٧. الفعل «جَعَلَ» يفيد الجعل العقلي والمعنوي والشّعوري، ومن هنا دخله معنى العلم والظنّ.

٨. الفعل تَعَلَّمْ لم يرد له ذكرٌ في القرآن الكريم.

٩. إنّ للقرآن منهجا مطّردا في استثمار اللفظة العربية، وتفجير كلّ ما فيها من معانٍ وإيحاءات لتحقيق المعنى المراد.

الهوامش:

1. ابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق. محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، (د، ط) ، ١٩٩٥م، ج١، . ص٣٨٠.
2. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط٤، (د، ت) ، ج٢، . ص١٠.
3. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، تحق أحمد السيد، وإسماعيل عبد. الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د، ط) ، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٣٣٥.
4. سورة التكوير، الآية ١٤.
5. سورة الحجر، الآية ٢٤.
6. سورة الممتحنة، الآية ١٠.
7. سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحق إميل يعقوب، دار. الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ج١، ص٧٦.
8. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحق. مصطفى عطا، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج٤، ص١٧٨.
9. سورة الأنفال، الآية ٦٠.
10. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي، تفسير أبي السعود، أو إرشاد العقل السليم، تحق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، . بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٢، ص١١٠.
11. سورة البقرة، الآية ٦٥.
12. سورة الفتح، الآية ٢٥.
13. سورة محمد، الآية ٣٠.
14. سورة البقرة، الآية ١٤٦.
15. الزمخشري، أبو القاسم محمود عمر، الكشاف، تحقيق يوسف حمادي، مكتبة. مصر، القاهرة، (د. ط) ، (د. ت) ، ج١، ص٢٠.
16. سورة يوسف، الآية ٥٨.
17. سورة الأعراف، الآية ٤٨.

١٨. سورة الحج، الآية ٧٢.
١٩. إرشاد العقل السليم، ج١، ص٣٩٧.
٢٠. سورة المطففين، الآية ٢٤.
٢١. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٦، ١٩٨٧ م، . ج٦، ص٣٠.
٢٢. سورة المائدة، الآية ٥٩.
٢٣. سورة الأحزاب، الآية ٥٩.
٢٤. اللسان: مادة دري.
٢٥. يُنظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط٢، ٢٠٠٣م، ج٢، ص١٠.
٢٦. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: . محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٧٥.
٢٧. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، تحقيق: أحمد سليم الحمصي، جروس برس، طرابلس لبنان، ط ١، ١٩٩٩م، ص١١٥.
٢٨. الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص٦٧.
٢٩. سورة الجاثية، الآية ٣٢.
٣٠. سورة عبس، الآية ٣.
٣١. سورة يونس، الآية ١٦.
٣٢. سورة الحاقة: الآية ٢٥_٢٦.
٣٣. سورة يونس، الآية ١٦.
٣٤. ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس اللغوية، تحق شهاب الدين أبو عمرو، . دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص١٠٨٣.
٣٥. المفردات، ص٥٢٦.
٣٦. سورة آل عمران، الآية ٣٧.
٣٧. سورة يوسف، الآية ٩٤.
٣٨. سورة النساء، الآية ٦٥.

٣٩. سورة الحشر، الآية ٩.

٤٠. سورة النساء، الآية ٨٢.

٤١. الأستراباديِ، رضيّ الدين، شرح الكافية، تحق يوسف حسن عمر. المكتبة الليبية، (د. ط) ، ١٩٧٣، ص١٥٢.

٤٢. سورة ص، الآية ٤٤.

٤٣. سورة الأنبياء، الآيات ٨٣– ٨٤.

٤٤. سورة الضحى، الآية ٧.

٤٥. سورة النساء الآية ٦٤.

٤٦. سورة المائدة، الآية ٨٢.

٤٧. سورة الأعراف، الآية ١٠٢.

٤٨. سورة الكهف، الآية ٦٩.

٤٩. سورة المزمل، الآية ٢٠.

٥٠. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

٥١. اللسان، مادة رأي.

٥٢. سورة الجن، الآية ٢٤.

٥٣. سورة المعارج، الآيات ٦– ٧.

٥٤. سورة فاطر، الآية ٨.

٥٥. سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

٥٦. الكشاف، ج١، ٢٨٦.

٥٧. سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

٥٨. سورة آل عمران، الآية ٢٣.

٥٩. سورة النساء، الآيات ٤٤– ٤٥.

٦٠. إرشاد العقل السليم، ج١، ص١٤١.

٦١. سورة الفرقان، الآية ٤٥.

٦٢. إرشاد العقل السليم، ج٥، ص١٧.

٦٣. سورة الفيل، الآية ١.
٦٤. سورة النور، الآية ٤٣.
٦٥. سورة مريم، الآية ٨٣.
٦٦. سورة إبراهيم، الآية ٢٤.
٦٧. اللسان، مادة رأي.
٦٨. شرح الرضي على الكافية، ج٤، ص١٦٢.
٦٩. ينظر المصدر السابق، نفس المكان.
٧٠. سورة الماعون، الآيات ١ _ ٣.
٧١. سورة العلق، الآيات ٩_١٤.
٧٢. سورة الكهف، الآية ٦٣.
٧٣. الكتاب لسيبويه، ج١، ص٣١٣.
٧٤. المبرد، أبو العباس، المقتضب، تحق حسن حمد، دار الكتب العلمية، . بيروت، ط١، ١٩٨٨، ج١، ص ٢٢٤.
٧٥. سورة الإسراء، الآية ٦٢.
٧٦. إرشاد العقل السليم، ج٤، ص١٤٣.
٧٧. سورة الأنعام، الآية ٤٠.
٧٨. سورة الأنعام، الآية ٤٦.
٧٩. سورة الأنعام، الآية ٤٧.
٨٠. ابن مالك، محمد بن مالك، شرح التسهيل، تحق محمد عبد القادر عطا، وطارق. السيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ٢٠٠١م، ج٢، ص١٠.
٨١. سورة يوسف، الآية ٢٥.
٨٢. سورة الصافات، الآية ٦٩.
٨٣. سورة البقرة، ١٧٠.
٨٤. سورة الضحى، الآية ٦.
٨٥. سورة الكهف، الآية ٨٦.

٨٦. سورة النساء، الآية ١٢١.

٨٧. سورة يوسف، الآية ٧٩.

٨٨. سورة النساء، الآية ٦٥.

٨٩. سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

٩٠. سورة النساء، الآية ٨٢.

٩١. سورة القصص، الآية ٢٧.

٩٢. سورة يوسف، الآية ٢٥.

٩٣. سورة الصافات، الآية ٦٩.

٩٤. سورة ص، الآية ٤٤.

٩٥. سورة الجن، الآية ٨.

٩٦. سورة الكهف، الآية ٩.

٩٧. سورة النساء، الآية ١١٠.

٩٨. سورة الضحى، الآية ٨.

٩٩. سورة الأعراف، الآية ١٠٢.

١٠٠. سورة الأعراف، الآية ١٠٢.

١٠١. سورة ص، الآية ٤٤.

١٠٢. سورة البقرة، الآية ١٧٠.

١٠٣. سورة لقمان، الآية ٢١.

١٠٤. سورة البقرة، الآية ١٦٨.

١٠٥. سورة البقرة، الآية ١٦٩.

١٠٦. سورة البقرة، الآية ١٧٠.

١٠٧. سورة البقرة، الآية ١٧١.

١٠٨. ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل، تحق سعيد الفلّاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٤٧.

١٠٩. سورة البقرة، الآية ١٦٨.

١١٠. سورة لقمان، الآية ٢١.
١١١. لسان العرب/ مادة جعل.
١١٢. المفردات في غريب القرآن، مادة جعل، ص١٠١
١١٣. سورة الأنعام، الآية: ١.
١١٤. سورة النحل، الآية: ٧٢.
١١٥. سورة البقرة، الآية: ٢٢
١١٦. سورة القصص، الآية: ٧.
١١٧. سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.
١١٨. سورة الزخرف، الآية: ١٩.
١١٩. الكّشاف ج٢ص٣.
١٢٠. سيبويه، الكتاب ج١ ص٢١١.
١٢١. سورة الزخرف، الآية: ١٩.
١٢٢. سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.
١٢٣. سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.
١٢٤. سورة التوبة، الآية: ١٩.
١٢٥. سورة يونس، الآية: ٥٩.

المصادر والمراجع:

أ ـ المصادر:

- القرآن الكريم

١. الأستراباذي، رضيّ الدين، شرح الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، المكتبة الليبية (د. ط) ، ١٩٧٣.

٢. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣. ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلّاح، دار الغرب. الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عطا، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج٤.

٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود عمر، الكشاف، تحقيق يوسف حمادي، مكتبة مصر، القاهرة، (د. ط) ، (د. ت) ، ج١.

٦. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، تفسير أبي السعود، أو إرشاد العقل السليم، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٢.

٧. سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ج١.

٨. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، تحقيق أحمد سليم الحمصي، جروس برس، طرابلس لبنان، ط ١، ١٩٩٤م.

٩. ابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، (د، ط) ، ١٩٩٥م، ج١.

١٠. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١١. الكفوي، أبو البلقاء، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

١٢. ابن مالك، محمد بن مالك، شرح التسهيل، تحقيق محمد عبد القادر عطا، وطارق. السيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

١٣. المبرد، أبو العباس، المقتضب، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ج١.

١٤. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، تحقيق أحمد السيد، وإسماعيل عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د، ط) ، ٢٠٠٢م، ج٣.

ب ـ المراجع:

١. حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط٤، (د، ت) ، ج٢.

٢. السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط٢، ٢٠٠٣م، ج٢.

٣. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٦، ١٩٨٧ م، ج٦.